﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾ [التَّوبة: 126]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الرّبطُ بين موقفِ المنافقين من إنزال القرآنِ، وفتنتِهم المُتجدّدةِ، دون اعتبارٍ ولا ازدجارٍ

لَما ذَكرتِ الآيتان السّابقتان موقفَ المنافقين، من إنزال القرآنِ، وأنَّهم يزدادون عراقةً في النِّفاقِ بما يكتسبونَه منَ الرِّجْسِ وازْديادِهم منه، حسُنَ الانتقالُ من بيانِ واقعِهم القلبيِّ، في الازديادِ منَ الرِّجس وثباتِ القلبِ على النِّفاق، إلى بيانِ فتنتِهم التي يُفتَنون بها في كلِّ عامٍ، من حوادثِ الزَّمان ونوازلِ الحَدَثان ممّا يضطرُّهم إلى بيانِ أخلاقِهم بإظهارِ سرائرِهم في نفاقِهم في كلِّ عامٍ مرَّةً أو مَرَّتَيْن فيُفضَحون بذلك، وذلك موجبٌ لتوبتِهم، لكنَّهم لا يتوبون عمّا هم فيه منَ النِّفاق، بل لا يذّكّرون، وذلك بسبب رسوخِ النِّفاقِ، وثباتِ الرِّجس، فالمناسبةُ بين الآيات ظاهرةٌ في تحذير المنافقين ممّا هم عليه، بذكْرِ عدمِ انتفاعِهم بالفتن بعد ذكْرِ عدمِ انتفاعِهم بإنزالِ القرآن، فموقفُ المنافقين واحدٌ لا يتفرَّقُ.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يُفْتَنُونَ﴾: فتن: الفاءُ والتّاءُ والنّونُ أصلٌ صحيحٌ يدُلُّ على ابْتلاءٍ واخْتبار، من ذلكَ الفِتْنَةُ، يُقال: فَتَنْتُ أَفْتِنُ فَتْنًا، وفَتَنْتُ الذَّهَبَ بالنّار، إذا امتحنتُه، وهو مَفْتونٌ وفَتين، والفَتّان: الشَّيطانُ، ويُقال: فَتَنَهُ وأَفْتَنَهُ. واسْتُعمِلَ في إدخالِ الإنسانِ النّارَ، قالَ تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الذّاريات: 13]، وقالَ تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: 35][1]. ومعنى قولِه تعالى: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات: (فتن).

﴿أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ﴾ ما يتعرَّض له المنافقون منَ الفتنةِ الظّاهرةِ، التي تكشفُ حقيقتَهم لأنفسِهم وللآخرين، كما جاء ذلك في قولِه تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [البقرة: 155][1]، فالآيةُ خطابٌ لجميع المؤمنين ظاهرًا، المؤمنِ حقيقةً والمنافقِ، فهي غِرْبالٌ لأهل الطّاعةِ والإيمانِ من أهل النِّفاقِ.

2) ﴿مَّرَّةً﴾: المرورُ هو المُضيُّ والاجتيازُ بالشّيء دون توقُّف، ويُقال لِما هو خِلافُ الحلاوة والطّيب: المُرُّ؛ فمرارةُ الشّيء تمنعُ النّاسَ منَ المُكث فيه، وسُمّي الأمَرُّ لأنّه غيرُ طيّب، ثمّ سُمِّيت بعد ذلك كلُّ شدّة وشديدةٍ بهذا البناء، يقولون: أمررتُ الحبل: فتلتُه، وهو مُمَرّ، والمَرُّ: شدّةُ الفَتْل، والمَرير: الحبلُ المفتول[2]. والمَرَّة: جُزءٌ منَ الزَّمان، وقولُهم: مرَّةً ومرَّتَيْن، كَفَعْلَة وفَعْلَتَيْن، قالَ تعالى: ﴿يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾ [الأنفال: 56]، ومنه قولُه تعالى: ﴿يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ دَلالةٌ على الوقتِ والزَّمان[3]، أي: يُفتنون في كلِّ عامٍ زمانًا بنوعِ ابتلاءٍ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الآيةُ خطابٌ للمؤمنين وتعريضٌ بالمنافقين، بتنْبيههم على أنَّهم يعلمون أنَّهم يُفتنون ويُختبَرونَ بالسَّنةِ والجوعِ والمرضِ في كلِّ عامٍ مرَّةً أو مرَّتَيْن يكذِّبون فيهما ويضلّونَ ثمَّ لا يتوبونَ من ذنوبِهمُ السّالفةِ، ولا هم يذَّكّرونَ فيما يُستقبلُ من أحوالِهم[4]، فالآيةُ دعوةٌ للاعتبارِ، ليحذرِ المؤمنون من مشابهتِهم، والمنافقون منَ الاستمرار فيما هم فيه منَ النِّفاق، فهي آيةٌ داعيةٌ للهدايةِ والتَّوبة والإنابةِ عن طريق التَّحذيرِ والتَّنبيهِ.

عراقةُ النِّفاقِ، تَحجبُ صاحبَها عن رؤيةِ غاياتِ الفتن، والاعتبارِ بمقاصدِ المِحن

(1) مجاهد، تفسير مجاهد: 1/289، وابن جرير، جامع البيان: 11/73، والرّاغب، المفردات: (فتن).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب: المفردات: (مرر).
(3) الرّاغب، المفردات، والرّازي، مختار الصّحاح: (مرر).
(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 2/366.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

غرَضُ الاستفهام، في سياق التّساؤلِ عن فتنة النّفاقِ:

الاستدلالُ على ازْديادِ كُفرِ المنافقين، وتمكُّنِه منهم في كلّ حينٍ

قولُه تعالى: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ﴾، الاستفهامُ فيه للإنكارِ والتّعجيب، لعدمِ رؤيتِهم فِتنتَهم الّتي لا تعقُبُها توبتُهم، ولا تُذكِّرهم أمرَ ربِّهم، والغرضُ من هذا الإنكارِ، هو الاستدلالُ على ما تقدَّمَ من ازْديادِ كُفرِ المنافقين، وتمكُّنِه كلَّما نزلَتْ سورةٌ منَ القرآنِ، بإيرادِ دليلٍ واضحٍ، ينزِلُ منزلةَ المحسوسِ المرئيِّ، حتَّى يتوجَّهَ الإنكارُ على مَنْ لا يراه[1].

معنَى الواوِ، وتقديرُ المعطوفِ عليه: ﴿أَوَلَا﴾:

التّقديرُ من ثراءِ اللّغة، وتنوُّعِ معانيها ودَلالاتِ تراكيبِها

قولُه تعالى: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ﴾، الواوُ الآتيةُ بعد همزة الاستفهام، في قوله تعالى: ﴿أَوَلَا﴾ للعَطْف، والمعطوف له وجهان في تعيينه، فإمّا أن يكون من باب عطفِ ما بعدَها على ما تقدَّمها من جملةِ: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾، فهي من تمامِ التَّفصيل[2]، وإمّا من باب عطفِها على مقدَّرٍ محذوفٍ، أي: ألا يَنظُرونَ ولا يَرَوْن؟![3].

سِرُّ التَّعبيرِ بفعلِ ﴿يَرَوْنَ﴾:

غرَضُ استعمالِ الرُّؤيةِ، تجسيدُ المعاني، إقامةً للحُجَّةِ، وإبرازًا للحقِّ

قولُه تعالى ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ﴾، آثرَ النَّظمُ ذكْرَ الرُّؤية دونَ العلمِ، فلم يقل: (أوَ لا يعلمون أنَّهم)؛ وذلك لأنَّ الآيةَ أرادت إيرادَ دليلٍ واضحٍ تُقامُ به الحُجَّةُ يُعلمُ يقينًا كالمشاهَدِ المحسوسِ، فكان أنْ أنزلَ دليلًا واضحًا، ينزِلُ مَنْزلةَ المحسوسِ المرئيِّ يفضحُهم بإظهارِ نفاقِهم، ويعلمون أنَّ ذلك من عندِ اللّه فيتوبون، ويذَّكرون وعْدَ اللّه ووعيدَه، وكان ذلكَ بكشفِ أسرارِهم وإفْشاءِ عقائِدهم، فهذا هو الاختبارُ الَّذي تقومُ عليه الحُجَّةُ، فيكونُ مرئيًّا محسوسًا معلومًا لمن حولَهم[4]، لكنَّهم لم يعتبروا بقوَّة الدَّليل، وظُهورِ الحُجَّةِ.

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/67.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/67.
(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/619.
(4) ابن عطيَّة، المحرَّر الوجيز: 3/99، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/67.

نُكتةُ التَّعبيرِ بصيغةِ المضارعِ ﴿يَرَوْنَ﴾:

إقامةُ الحُجَّةِ ببيانِ تجدُّدِ الرُّؤيةِ، بغرَضِ الهدايةِ والارْعِواءِ عنِ النِّفاق

قولُه تعالى: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ﴾، وفيه جاءَ التَّعبيرُ بالمضارعِ في الفعل ﴿يَرَوْنَ﴾ للدَّلالةِ على تجدُّدِ هذه الرُّؤيةِ واسْتمرارِها منَ المنافقين حيث قال تعالى: ﴿فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾، فهي في كلِّ عامٍ، وهذا كفيلٌ بأن يَزْدجروا ويَتوبوا إلى الله، ويَرْعَووا عمّا هم عليه منَ النِّفاق[1]، فاختيارُ صيغة المضارع فيها إقامةٌ للحُجَّة بأنَّ الرُّؤيةَ مستمرَّةٌ ومتجدِّدةٌ لكن دونَ استجابةٍ لما هم عليه منَ الباطل.

دَلالةُ توجيهِ القراءاتِ القرآنيَّةِ، في حرف المضارعةِ في الفعل:

تنوّعُ الفعل بالياء والتّاء، بين خطابِ المنافقين والمؤمنين

في قولِه تعالى: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ﴾ قراءتان متواترتان:

الأولى: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ﴾ بالياء على معنَى: أوَ لا يَرى المنافقون، والأخرى: (أَوَ لا تَرَوْن) بالتّاء على معنَى: أَوَ لا تَرَوْنَ أيُّها المؤمنون، وهذا تنبيهٌ لهم، فيكونُ من تنزيل الرّائي بمنزلةِ غيرِه حتَّى يُنكِرَ عليه عدمَ رؤيته[2]، والقراءتان متكاملتان، حيث أعطت كلُّ قراءةٍ معنًى يُساند الأخرى، فقراءةُ الغيبةِ فيها إقامةُ الحُجَّة على المنافقين، وقراءةُ الخطاب فيها التَّنبيهُ على الاعتبارِ من حال المنافقين التي هم عليها.

بَلاغةُ التَّأكيدِ وتقويةِ الحُكمِ الإسناديِّ في الجملةِ المؤكّدةِ:

الدَّعوةُ للهدايةِ، والتَّحذيرُ منَ الغَوايةِ، مقصودُ الخطابِ

قولُه تعالى: ﴿أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ﴾، أفادَ حرفُ (أنَّ) مع ضمير الجمع (هم)، تأكيدَ حصولِ الفتنةِ للمنافقين، ورؤيتِهم لها من اضْطرابِ أمرِهم بما يصيبُهم منَ الأمراض المُنتشرةِ، والتَّقاتُلِ، واسْتمرارِ الخوف، والمصائبِ والمضارِّ الَّتي تنالُ جماعتَهم، ممّا لا يُعتادُ تكرُّرُ أمثالِه في حياةِ الأُمم[3]، كما أنَّ تقديمَ المسنَد إليه، ومجيءَ

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 5/530.

(2) القراءة الأولى للجمهور، والثّانية لحمزة ويعقوب، ينظر: ابن مجاهد، السَّبعة، ص: 320، والعطّار، غاية الاختصار: 2/512، وابن عطيَّة، المحرَّر الوجيز: 3/99.

(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/67.

المسنَد فعلًا فيه تقويةٌ للحُكم، وفي تعاضُد التَّأكيدِ وتقويَةِ الحُكم الإسناديّ، تثبيتٌ لهذا المعنى، وأنَّ الفتنةَ مقصودةٌ لذاتِها، بغرَضِ إخراجِ المنافقين من رجْسِهم إلى طهارة القلوب، وهو ما يُؤكِّدُ مطالبَ الهداية والنَّجاةِ.

فائدةُ بناءِ الفعلِ ﴿يُفْتَنُونَ﴾ للمفعولِ:

قولُه تعالى: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ﴾، بُنِيَ قولُه تعالى: ﴿يُفْتَنُونَ﴾ للمفعول تعبيرًا عمّا ينزلُ بالمنافقين منَ الحوادثِ والنَّوازلِ بما يضطرُّهم إلى بيانِ أخلاقِهم بإظهارِ سرائرِهم في نفاقهم[1]، وحُذفَ ذكْرُ الفاعل لتوجيه الاهتمامِ بالفتنةِ ومقاصدِها التي أراد اللّه تحقيقَها في نفوسِ المنافقين.

تَوجيهُ الاهتمامِ بالفتنةِ، بتحقيقِ مقاصدِ هِداياتِها

بَلاغةُ التَّعبيرِ، بصيغةِ المضارعِ ﴿يُفْتَنُونَ﴾:

دلَّتْ صيغةُ المضارعِ ﴿يُفْتَنُونَ﴾، على تجدُّدِ واسْتمرارِ الفتنةِ بالمنافقين، ذلك أنَّ اللّه تعالى أكَّدَ هذا المعنَى بقولِه: ﴿فِي كُلِّ عَامٍ﴾، فجاءَ ﴿يُفْتَنُونَ﴾ تعبيرًا عن تكرُّرِ تلكَ الفتنةِ في حياتِهم وسقوطِهم فيها بحيث يَغْرَقونَ ولا يَخْرُجون، وهو مصداقُ قولِه تعالى: ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾ [التَّوبة: 49][2]، ولا يتحقَّقُ السُّقوطُ إلّا إذا كان هناك معاودةٌ تِلْو المعاودةِ، فلمّا تكرّرتِ الفتنةُ دونَ اعتبارٍ بها من قِبَل المنافقين، كان سقوطُهم حقيقًا بهم، ويستحقّونه عن جدارةٍ، وهذا يدلُّ على رحمة اللّه تعالى بعبادِه، فهو يُعطيهم المِحَنَ لتكون لهم منَحًا في الدّنيا والآخرة، لكنَّهم يأبَوْن إلّا السُّقوطَ.

تكرُّرُ وقوعِ الفتنةِ بالمنافقين، دليلُ رحمةِ الله تعالى بعبادِه، ولكنّهم لايذّكرون

دَلالةُ العمومِ في عبارة: ﴿فِي كُلِّ عَامٍ﴾:

دلَّ قولُه تعالى: ﴿فِي كُلِّ عَامٍ﴾ وباسْتعمالِ ﴿كُلِّ﴾ المفيدةِ للعمومِ، على وقوعِ الابْتلاءِ، المطَّردِ بأفانينِ البَليّاتِ، منَ المرضِ والشِّدَّةِ وغيرِ

سـبـبُ تَـوالي الابتلاءِ المُتتابِعِ، هو إرخـاءُ عِنادِ النِّفاقِ في نفوسِ أصحابِه

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 9/53.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/67.

ذلكَ، ممّا يُذكِّرُ الذُّنوبَ والوقوفَ بين يدَيْ ربّ العزَّة، فيؤدِّي إلى الإيمانِ به تعالى، أوِ المجاهدة في سبيلِه مع رسولِ الله ﷺ؛ فيُعاينونَ ما ينزلُ منَ الآياتِ، لاسيَّما القوارعِ الزّائدةِ للإيمانِ، النّاعيةِ عليهم ما فيهم منَ القبائحِ المُخزيةِ لهم[1]، فأفاد العمومُ ثباتَ توالي الفتنةِ في كلِّ عامٍ، من دون انقطاعٍ، فهو أمرٌ مطَّردٌ زمانيًّا، وأفاد أنَّ الّذين بقَوا على النِّفاقِ عاندوا بل بالغوا في العنادِ، والتَّسلّحِ بالعتادِ، في مواجهةِ ما يدعوهم للأَوْبةِ بعد النَّوبةِ، وهو ما يجعلُهم أعتى خلْقِ اللّه تعالى في الإصرارِ على الكُفر، وبه يُعرف سببُ أنَّهم في الدّرَكِ الأسفلِ منَ النّار.

سِرُّ اسْتعمالِ لفظِ ﴿عَامٍ﴾، دون لفظِ (سَنة):

شِـدَّةُ ظـهـورِ فـتـنـتِـهـمُ الـخـاصَّـةِ، وسلامةُ المؤمنين مـنـهـا كـفـيـلٌ بإيقاظِهم من غفلتِهم

آثرَ النَّظمُ اسْتعمالَ لفظِ ﴿عَامٍ﴾ دون (سَنة)؛ وذلك أنَّ لفظَ العامِ يدلُّ على الخِصْبِ والخيرِ ورفعةِ العَيْش، أمّا لفظ (سَنَة) فيعني الجَدْبَ والقَحْطَ، وقلَّةَ الخيرِ والمُؤَنِ والزّادِ[2]، وسرُّ استعمال لفظِ العامِ دونَ السَّنة – مع أنَّ الظّاهرَ استعمالُ السَّنة الدّالةِ على الجدْبِ والقحْطِ – هو بيانُ أنَّ الفتنةَ الّتي وقعت للمنافقين هي لهم خاصَّةً، وأنَّهم مقصودون بها على وجه الخُصوصِ، فهي ليست عامَّةً للمجتمعِ كلِّه، فالمجتمعُ في مثل هذا الخيرِ الوفيرِ والعَيْشِ الرَّغيدِ، أي: وإن كان النّاسُ أخصبَ ما يكونون وأرفعَه عيْشًا، وإذا هم تنزلُ بهمُ المصائبُ وتحلُّ بهمُ الفِتَنُ، فتظهرُ فضيحتُهم بذلك أكثَرَ من ذي قَبْلُ، مع اجْتهادِهم في إخفائِها، وحرصِهم على كِتمانِها، ولكنَّ الَّذي علمَ سرائرَهم، وهو الله ﷻ، يُظهرُها ويفضحُهم بها، لمّا أَعْرضوا عنِ الحقِّ، فأَظْهروا خلافَ ما يُبطِنونَ، يُخادعون اللّه ورسولَه والَّذين آمنوا[3].

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/619.
(2) الرّاغب، المفردات: (سنه).
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 9/53.

فائدةُ استعمالِ لفظِ ﴿مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾:

الإشارةُ إلى أنَّ فتنةَ المنافقين مريرةٌ سريعةٌ، للتَّنبيهِ على شديدِ الغفْلةِ

ساقَ النَّظمُ لفظَ ﴿مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾، لا لبيانِ الوقوعِ حَسَبَ العدِّ المزْبورِ؛ بل للتَّكثير، أي: يُبتلَوْنَ بأفانينِ البَليّات، منَ المرضِ والشِّدَّةِ وغيرِ ذلك، ممّا يذكِّرُهم بما هم عليه منَ النِّفاقِ، والبُعدِ عنِ اللّه لعلَّهم يذَّكّرونَ، فيهتدونَ ويَرشُدون[1]، وذكرَ المرّةَ والمّرتين، لبيانِ أنَّ فتنتَهم مريرةٌ وسريعةٌ، فالمقصودُ تنبيهُهم على نفاقِهم وكفرِهم وغفلتِهم، بغرَضِ هدايتِهم، لا بغرضِ تعذيبِهم، فاستعمالُ ﴿مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾، دون أن يقول: (فتنةً أو فتنتين)، لبيان هذه الفائدةِ.

معنَى حرفِ ﴿أَوْ﴾:

إفادةُ الحرفِ التَّنويعَ، من مقاصدِ البيانِ في القرآن

قولُه تعالى: ﴿مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾، وفيه ﴿أَوْ﴾ حرفُ عطفٍ، أفادتِ التَّخييرَ؛ بمعنَى: أوَ لا يرى المنافقونَ أنَّ اللّه تعالى يَختبرُهم في بعضِ الأعوامِ مرَّةً، وفي بعضِ الأعوامِ مرَّتين؟! وفي هذا التَّنويع زيادةٌ في إقامةِ الحُجَّة عليهم، لا مناصَ لهم منها[2]، وذلك التَّنويعُ بحسبِ حِكمة اللّه تعالى في إجراءِ أقدارِه على عبادِه.

سِرُّ التَّراخي بحرف العطف ﴿ثُمَّ﴾، ودلالتُه:

التَّعجيبُ من عدمِ توبةِ المنافقين، وعدمِ اتّعاظهم بعْدَ نزولِ الفتنِ بهم

أفادَ حرفُ ﴿ثُمَّ﴾ في قولِه تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾ التَّرتيبَ الرُّتْبيَّ؛ لأنَّ المعطوفَ في رُتبةِ التَّعجيبِ من شأنِه على المعطوف عليه، فإنَّ حصولَ الفتنةِ في ذاتِه عجيبٌ، وعدمَ اهْتدائِهم للتَّدارك بالتَّوبةِ والتَّذكُّرِ أَعْجبُ، ولو كانتْ ﴿ثُمَّ﴾ للتَّراخي الحقيقيِّ لكانَ محلُّ التَّعجيبِ من حالِهم هو تأخُّرُ توبتِهم وتذكُّرِهم[3]، وهو غيرُ مرادٍ، بلِ المرادُ عدمُ توبتِهم مع ما يحصلُ لهم منَ الفتنةِ الدّاعيةِ للتَّوبةِ والهداية!

---

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/619.

(2) ابن عطيَّة، المحرَّر الوجيز: 3/99، وأبو حيّان، البحر المحيط: 5/530.

(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/68.

دَلالةُ النَّفْيِ ﴿لَا﴾، في دخولِه على الفعلِ ﴿يَتُوبُونَ﴾:

المقصودُ بالنَّفي هـو المـقـصـودُ بالفتنة، فكان ذِكرُه تعجيبًا من حالِهم

لَمّا كانَ تكرُّرُ الفتنِ على المنافقين في كلِّ عام، يقتضي منهم أنْ يستيقظوا من غفلتِهم، فيُصلِحوا ما فسدَ منهم، ويتوبوا إلى الله تعالى، ناسبَ ذلك أنْ يدخلَ النَّفْيُ على فعلِ التَّوبةِ الَّتي كانَ يُفترَضُ أنْ يقوموا به لكنَّهم لم يقوموا به، عنادًا ومُرودًا على النِّفاق، كما وصفَهم بقولِه تعالى: ﴿مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ [التَّوبة: 101][1]، ولم يأتِ التَّعبير بإثباتِ الكفر، كأن يُقال: (ثمّ يكفرون) أو (ثمّ يفسقون) ونحو ذلك، لأنَّ المقصودَ بالنَّفي، هو المقصودُ بالفتنةِ، فكان ذكرُه بالنَّفي، أولى من ذكرِ ما هم عليه بالإثباتِ.

نُكتةُ حذْفِ مُتعلَّقِ فعلِ التَّوبةِ:

التَّشنيعُ على المنافقين في عدمِ حصولِ أدنى درجاتِ التَّوبةِ، أوِ الاتِّصافِ بها

لَمّا قالَ اللّه تعالى عن المنافقين: ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾ بعدم ذكْرِ متعلَّق فعْلِ التَّوبةِ؛ فلم يقل: (ثم لا يتوبون إلى اللّه)، فجاءَ النَّظمُ بالحذفِ تعبيرًا دقيقًا عن عدمِ حُصولِ أيِّ توبةٍ منهم ولو كانت ناقصةً، فأدنَى درجاتِ التَّوبةِ غيرُ مُتحقِّقةٍ، فكيف يمكنُ تحقُّقُها كاملةً خاصَّةً ممَّن مَرَدَ على النِّفاق فلِمَ تردُّه الفتنُ والمصائب عنه[2]؟! فأفاد حذْفُ متعلَّق الفعلِ العُمومَ، فنفيُ التَّوبة، يشملُ كلَّ توبةٍ يتوقّعُها المسلمُ، أو لا يتوقّعُها، ولتنزيل فعلِ التّوبةِ منزلةَ الفعل اللّازم، أي: هم قومٌ غيرُ تائبين، وغيرُ متَّصفين بالتَّوبةِ، وهذا أبلغُ في ذمِّهم، والتَّشنيعِ عليهم.

نُكتة العطفِ ﴿وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾:

دوامُ الغَفلةِ مع تَـكـرارِ الفِتْنة، أعدَمَ أيَّ تذكُّرٍ أو أوْبةٍ

قولُه تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾، أي: أَدْنَى تذكُّرٍ بما أشارَ إليه الإدغامُ، فلولا أنَّه حصلتْ لهم زيادةٌ في الرِّجْسِ لَأَوْشكَ تكرارُ الفتنةِ، أنْ يوهيَ رِجْسَهم إلى أن يُزيلَه، ولكنْ كلَّما أَوْهَى شيئًا خَلفَه

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/68.

(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/619، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/67 - 68.

مثلُه أوْ أكثرُ، بسببِ الزِّياداتِ المترتِّبةِ على وجودِ نجومِ القرآنِ، وتتابُعِ افتتانِهم مع عدَمِ التَّنبُّهِ لحكمةِ هذا الافْتتانِ، بسببِ الغفلةِ الضّاربةِ جذورَها في قلوبِهمُ الكافرةِ، فكانَ قولُه تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾، مع قولِه تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾، معطوفًا على قولِه: ﴿يُفْتَنُونَ﴾[1]، أي: حصل لهم أمران بعد الفتنة، وكلاهما عجيبٌ، عدمُ التَّوبة، وعدمُ التَّذكُّر.

فائدةُ دخولِ النَّفي على المسنَدِ إليه، ومَجيءِ المُسنَد فعلًا:

اختصاصُ المنافقين بالغَفلةِ الرّاسخةِ، أمارةُ الخُسرانِ المبين، والضَّياعِ المهين

قولُه تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾، أتى النَّظمُ بجملةِ: ﴿وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾، وهي مبتدَأةٌ باسْمٍ أُسْنِد إليه فعلٌ مع النَّفي المُتقدِّم عليهما ولم يقل: ولا يذَّكَّرون، قصدًا إلى أنَّ انْتفاءَ تذكُّرِهم مُحقَّقٌ[2]، وأفاد هذا النَّظمُ بإيلاءِ النَّفي المُسنَد إليه، وتقديمِه على المسنَد الفعليِّ الاختصاصَ، أي: هم دونَ سِواهم لا يذَّكّرون، فهم اختصاصٌ إضافيٌّ قصْدُه المبالغةُ، أي: إن كان هناك أحدٌ لا يتذكّر، فهم دون سواهم، وهذا زيادةٌ في التَّشنيع عليهم والتَّقبيحِ لأفعالِهم.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الفتنةُ والابْتلاءُ:

الفتنةُ الاخْتبارُ في الخيرِ والشَّرّ، والابْتلاءُ الاخْتبارُ بالشَّرّ فقط

الفتنةُ: أشدُّ الاخْتبارِ وأَبْلغُه، وأصلُه عَرْضُ الذَّهبِ على النّارِ لتبيُّنِ صلاحِه من فسادِه، ومنه قولُه تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الذّاريات: 13] ويكونُ في الخيرِ والشَّرّ، كما في قولِه تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التَّغابن: 15] وقولِه تعالى: ﴿لَّأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [الجنّ: 16-17][3]، والابْتلاءُ لا يكونُ إلّا بتحميلِ المكارهِ والمشاقِّ، فلا يُقال: هو مُبتلَى بالنِّعمة، والابْتلاءُ يقتضي

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 9/53، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 2/619.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 11/68.
(3) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 396 - 397.

اسْتخراجَ ما عندَ المبتلَى منَ الطّاعةِ والمعصيةِ بتحميلِه المشقَّةَ، وهذا من أصل معنَى بَلَوْتُه، أي: اخْتبرتُه كأنِّي أَخْلقتُه من كثرةِ اخْتباري له، قالَ تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْـَٔايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَـٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾﴾ [الدُّخان: 33][1].

العامُ والسَّنةُ:

العامُ يُستعمَلُ بما فيه الرَّخاءُ والخِصْبُ، والسَّنةُ تُستعملُ في الجَدْبِ والقَحْطِ

السَّنةُ تكونُ من أوَّلِ يومٍ عدَدْتَه إلى مثلِه، والعامُ لا يكونُ إلّا شتاءً وصَيْفًا، فالعامُ حَوْلٌ يأتي على شَتْوةٍ وصَيْفةٍ وصَيْفَةٍ وعلى هذا فالعامُ أخصُّ منَ السَّنة، وليس كلُّ سنةٍ عامًا، فإذا عَدَدْتَ من يومٍ إلى مثلِه فهو سنة، وقد يكونُ فيه نصفُ الصَّيفِ ونصفُ الشِّتاءِ، والعامُ لا يكونُ إلّا صيفًا أو شتاءً مُتواليَيْن[2]، والسَّنةُ: أكثرُ ما تُستعملُ في الحَوْلِ الَّذي فيه الجَدْبُ، قالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ﴾ [الأعراف: 130]، أي: بالجَدْبِ[3]، والعامُ: يُستعملُ بما فيه الرَّخاءُ والخِصْبُ، قالَ تعالى: ﴿عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [يوسف: 49][4].

(1) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 10، 139، والرّاغب، المفردات: (بلى).
(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 348 - 349، والكفوي، الكلّيّات: 3/12، والجرجانيّ، التّعريفات، ص: 127 - 128.
(3) الرّاغب، المفردات: (سنه).
(4) الرّاغب، المفردات: (عوم).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن عشر، سورة التوبة من الآية 87 إلى سورة يونس الآية 14
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن عشر، سورة التوبة من الآية 87 إلى سورة يونس الآية 14 [إشراف
مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 18 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-15-9
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 18 : المجلد الثامن عشر، سورة التوبة من الآية 87 إلى سورة يونس الآية 14.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-15-9
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0758707 بتاريخ 2024/01/31م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»